خَالد الشّريف الهاشمي

رحيلٌ

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS™
LONDON * CAMBRIDGE * NEW YORK * SHARJAH

الفصلُ الأوّلُّ

لماذا؟

مسرعاً إلى منزلهِ، مشوّشَ التّفكيرِ، امتلأَت عيناهُ بدموعِ القهرِ، باحثاً عن جوازِ سفرهِ، التقطهُ على عجلٍ، ووضعَ بعضَ الملابسِ في حقيبةٍ صغيرةٍ، ثمّ ركبَ سيارتَه مُتجهاً إلى المطار. اتّصلَ بصديقهِ أحمد:

- أحمد، أستحلفُك باللهِ لا تقاطعْني، وافعل ما سأقولُه لكَ، أنا في طريقي إلى المطارِ، قابلني هناكَ، وسأشرحُ لكَ كلَّ شيء.

وصلَ يعقوبُ إلى المطارِ، لم يعرفْ كيفَ وصلَ، وكيفَ سارَ في الشّوارع، وأيَّ طريقٍ سلكَ لكي يصلَ إلى المطارِ...! التقى بصديقِه أحمد، وقال لهُ مُتلهّفاً:

- أحمدُ، خذْ مفتاحَ سيارتي ومنزلي، أوقفتُ السّيارةَ في مواقفِ المطارِ، أرجِعْها إلى المنزلِ، وتأكّد من إطفاء كهرباءِ المنزلِ وإغلاق أبوابِه، أنا مسافرٌ الآنَ إلى باريس، ولا أعرفُ تاريخَ عودتي، ولكن سأعودُ قريباً.

- ما سرُّ هذهِ السفرةِ؟! ما الّذي يجري؟! هل أنتَ بخيرٍ يا صديقي؟!

- نعم، أنا بخيرٍ، أو.. لستُ بخيرٍ.. لا أدري! سفرةٌ قصيرةٌ، لعلّي أجدُ تفسيراً لكلِّ ما يحدثُ معي.

- إذاً، فالأمرُ لهُ علاقةٌ بـ...

- أحمدُ يا صديقي، افعلْ ما طلبتُه منكَ، وسأحكي لكَ كلَّ شيءٍ عندَما أعودُ.

- هل اتصلْتَ بوالديكَ؟

- والدايَ قد تُوُفِّيا.

- هل أخذتَ دواءَك معكَ؟

- نعم، هُنا في حقيبتي.

- حسناً! انتبه إلى نفسِك يا يعقوب، واتّصل بي عندَما تصل.

- سأفعلُ. اعذرني الآنَ يجبُ عليَّ الإسراعُ للّحاقِ بطائِرتي.

تعانقَا، ثمّ انطلقَ يعقوبُ مسرعاً.

لم يكُن يعقوبُ قد اشترى تذكرةَ الطّائرةِ بعدُ، اتّجهَ إلى مكتبِ حجزِ التّذاكرِ.

- مرحباً، أريدُ شراءَ تذكرةٍ على الرّحلةِ رقم "511" المتّجهةِ إلى باريس.

- سيّدي، الطّائرةُ ممتلئةٌ، لا يوجدُ سوى بعضِ المقاعدِ على درجةِ رجالِ الأعمالِ.

- حسناً! احجزْ لي مقعداً، تأكّدْ أنّه على الرّحلةِ "511".

- نعم يا سيدي، الرّحلة "511" تمَّ الحجزُ. أرجو أن تتوجّهَ إلى الطّائرةِ في أقربِ وقتٍ، ستقلعُ الطّائرةُ بعدَ ساعتين.

انطلقَ يعقوبُ إلى الطّائرةِ بعدَ أنْ أنهى إجراءاتِ المطار وهناك عندَ صالةِ انتظارِ الطّائرةِ وجدَها، وجدَ مَن أتت بهِ إلى هنا، ذهبَ إليها مُسرعاً.

رحيل!

- يعقوب! ما الّذي تفعلهُ هنا؟!

- أنا ذاهبٌ معكِ إلى باريس.

- أجُننتَ يا يعقوب!

قالتها وهيَ مبتسمةٌ، كأنّها كانَت سعيدةً بالقرارِ الّذي اتّخذهُ، ولكنّها فضّلَت أن تُنكرَ عليهِ.

- نعم، جُننتُ، لن أخسرَكِ مرّةً أُخرى، لن يكونَ للحياةِ طعمٌ أو رائحةٌ من دونِك.

- أما زلتَ تُحبّني يا يعقوبُ؟

- وما الّذي أتى بي إلى هُنا غير حبّي لكِ؟

- ولكِن ما الفائدةُ من كلِّ هذا يا يعقوبُ؟!

- لعلّنا نجدُ أجوبةً لكلِّ أسئلتي عندَما نصلُ إلى باريس، ثمّ نعودُ كما كنّا عليه في السّابق.

- حسناً! دعني أُنهِ بعضَ الأعمالِ الآنَ، وسنتحدّثُ عندَما نصلُ إلى باريس.

قالتها وكأنّها لم تُبالِ بما قالهُ وفعلَه يعقوبُ، حتّى إنّه شعرَ بجفائها معهُ ولكنّهُ لم يكترث لهذا كثيراً، فهي الآنَ معه.

جلسَ يعقوب على الكرسيِّ المقابلِ لها، ينظرُ إليها، سعيدٌ لأنّهُ بالقُرب منها، هامَ بخيالهِ على الأيامِ الّتي سيقضيها معها في باريس، وعاشَ تفاصيلَها.

"على السّادةِ الرّكاب التوجّهُ إلى بابِ الطّائرة."

نهضَ يعقوب يساعدُ رحيلَ في تجميعِ حاجياتِها.

- رحيل، عندما نصلُ سوفَ نذهبُ لتناولِ الغداءِ في مطعمٍ، هو الأفضلُ في كلِّ باريس، كما أنّه يُعِدّ أفضلَ "حساء البصل الفرنسي" على الإطلاق.

ابتسمَت وقالت:

- ما زلتَ تذكرُ ماذا أحبُّ يا يعقوب!

نظرَ إليها مبتسماً، صعدا إلى الطّائرةِ، كانت رحيلُ تجلسُ في الدّرجةِ الاقتصاديّة، أمّا يعقوب فكانَ في درجةِ رجالِ الأعمالِ.

قبلَ إقلاعِ الطّائرة ذهبَ يعقوب إلى رحيل:

- رحيل، اذهبي واجلسي في مكانِي في درجةِ رجالِ الأعمالِ، وأنا سأجلسُ مكانَكِ.

- شكراً يا يعقوبُ، لا ضرورةَ لهذا، فأنا مرتاحةٌ هنا.

- لا، لن أكونَ مرتاحَ البالِ وأنا جالسٌ هناكَ، وأنتِ هنا، كما أنَّ لديكِ بعضَ الأعمالِ لتنجزيها، وهناكَ سيكونُ لديكِ متسعٌ من الوقتِ لإنجازِها براحةٍ.

- حسناً! كما تريدُ.

جلسَ يعقوبُ في مكانِها، وذهبَت رحيلُ وجلسَت مكانَه. كانَ يعقوبُ سعيداً لما آلَت إليهِ الأمورُ. ثمَّ قالَ مُخاطباً نفسَهُ: "لن أخسرَكِ مرّةً أخرى يا رحيلُ، كلُّ ما جرى لم يكُن بإرادتي، ستظهرُ الحقيقةُ ولو بعدَ حين". وظلَّ يفكّرُ حتّى حانَ موعدُ هبوطِ الطّائرة.

"الرّجاءُ ربط أحزمةِ الأمانِ، استعداداً للهبوط". هبطَت الطّائرةُ في مطارِ "شارل ديجول". التقَى يعقوبُ برحيل بعدَ الخروجِ من الطّائرةِ، وقال لها:

- رحيل، الحمدُ للهِ على سلامتكِ.

- شكراً يا يعقوبُ، وأنتَ كذلكَ.

- دعيني أحملُ عنكِ بعضَ الاشياءِ.

- لا شكراً، سأتدبَّرُ أمري.

- حسناً! فنذهَب لإحضارِ الحقائبِ.

- يعقوب! طريقي غيرُ طريقِكَ.

- ماذا تقصدينَ؟!

- أنا ذاهبةٌ إلى قسمِ "الترانزيت" لألحقَ بطائرتي الأُخرى المتّجهةِ إلى الولايات المتّحدةِ.

- رحيل! ماذا تقولينَ؟!

- ما سمعتَهُ!

- كيفَ؟! لماذا لم تخبريني أنّكِ ذاهبةٌ إلى الولاياتِ المتّحدة؟!

- يعقوب! رجاءً!

- حسناً! انتظريني هُنا، سأذهبُ وأشتري تذكرةً إلى الولاياتِ المتّحدةِ. ما رقمُ رحلتِكِ؟

- يعقوب، هل تحملُ "فيزا" لدخولِ الولاياتِ المتّحدةِ؟

صُدمَ يعقوبُ وسقطَ على ركبتيهِ:

- يا إلهي! رحيل، لماذا؟! لا تتركيني!

- اعتنِ بنفسِكَ يا يعقوبُ، وداعاً.